علاج الإسلام للجريمة

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 17 جمادى الأولى 1434هـ الموافق لـ 29 مارس 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِه الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ " سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ " سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثةٍ بدعة وكلّ بدعةٍ ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

علاج الإسلام للجريمة

معاشر الإخوة الكرام،

إنّ الحادثة الّتي هزّت قسنطينة في الآونة الأخيرة بالإعتداء على طفلين بريئين تحتاج إلى وقفة، نقف من خلالها على أسبابها وحلولها النّاجعة في الشّريعة.

إنّ غياب الإيمان سبب كلّ جريمةٍ مرتكبةٍ في المجتمع، سواءًا كانت قتلاً أو زنا أو سرقةً أو خطفًا أو رشوةً وغيرها.

ولذلك قال تعالى:

" وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿ 55 ﴾ " سورة النّور.

فبالإيمان والعمل الصّالح يتحقّق الأمن والأمان.

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال عليه الصّلاة والسّلام:

(لا يزني الزّاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمنٌ، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمنٌ، ولا ينتهب نُهْبَةً يرفع النّاس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمنٌ).

فمرتكب الجريمة من سرقةٍ وقتلٍ واختطافِ شخصٍ، خلا قلبه من الإيمان والخوف من الرّحمٰن.

وحينما يخلو القلب من الإيمان يصبح الإنسان كالحيوان، تقوده رغبته إلى الإنحراف والإعتداء بسبب حسدٍ أو بغضٍ أو شهوةٍ أو تعالي وتسلّطٍ.

ولقد قصّ علينا المولى عزّ وجلّ في كتابه أوّل قتلةٍ وقعت في البشريّة، وكان سببها غياب الإيمان، قال تعالى:

" وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿ 27 ﴾ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ 28 ﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿ 29 ﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿ 30 ﴾ " سورة المائدة.

وكلاهما قدّم قربانًا إلى الله تعالى، فتقبّل الله تعالى قربان هابيل لتقواه و لم يتقبّل قربان قابيل لأنّه لم يكن رجلاً صالحًا، وإنّما حمله على قتل أخيه حسده على مزيّة القبول.

والحسد أول جريمة ظهرت على الأرض.

والحسد إنّما يكون من ضعف الإيمان وعدم الرّضا بقسمة الرّحمٰن.

وتمعّنوا قول أخيه: " لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿ 28 ﴾ " سورة المائدة.

فالمانع من الإعتداء الخوف من الرّحمٰن، ولذلك أوّل شيءٍ ينبغي غرسه في الشّباب هو الخوف من الله تعالى، ولا بدّ أن تتعاون كل مؤسّسات المجتمع في تحقيق هذا الهدف وهو ربط النّاس بالله تعالى.

سواءٌ في المدرسة أو المسجد أو الشّارع أو النّادي أو الشّاشة أو الإذاعة، فكلّ هؤلاء ينبغي أن يتعاونوا على تقوية الإيمان بالله تعالى من خلال حصصٍ هادفةٍ، وليحرص الآباء على جمع الأبناء على قنوات تُقوّي الإيمان منذ الصّغر.

ويبقى في المجتمع دائمًا شرذمةٌ تريد الإفساد في الأرض، فهؤلاء سلطان العقوبة هو الّذي يردعهم.

وعجبت وأنا أقرأ في إحدى الجرائد لباحثٍ في علم النّفس، راح يبرّر فعل المجرمين.

قال: (**نتفهّم أن من يعتدي على البراءة الملائكيّة لا يمكن إلاّ أن يكون ذا نفسيّة شيطانيّة، ولكن ليس معنى ذلك أنّ الإعدام هو الحلّ في كل الحالات، لكنّه يُعَدُّ كعقوبةٍ صارمةٍ مطبّقةٍ في حالات ما، الأهمّ هو برامج إعادة التّأهيل وإدماج المجرمين في المجتمع واستنفاذ كلّ طرق الوقاية لِمَ لها من فائدةٍ ليس فقط على المجتمع بل المجرم أيضًا**).

النّاس تتعاطف مع الضّحايا إبراهيم وهارون، وهذا الممسوخ بعلم النّفس الغربي يتعاطف مع المجرم الّذي أرعب 38 مليون مسلمٍ، وهو يريد أن يشفق عليه ويدمجه في المجتمع، ليس للمجرم أيّ حقٍّ سوى محاكمةٍ عادلةٍ، فإن ثبتت الجريمة فالعقوبة الصّارمة الّتي حدّدها الشّرع، لأنّ قانون العقوبات اليوم لم يحدّ من الجريمة و لم يقلّل من معدلاتها، فلا بدّ من الرّجوع إلى شرع العزيز الحكيم ولسنا ارحم من الله تعالى بعباده، يقول ابن القيّم في إعلام الموقّعين 122/2:

(**من المعلوم أنّ عقوبة الجناة والمفسدين لا تتمّ إلاّ بمؤلمٍ يردعهم، ويجعل الجاني نكالاً وعِظةً لِمَن يريد أن يفعل مثل فعله، وعند هذا فلا بدّ من إفساد شيءٍ منه بحسب جريمته في الكبر والصّغر والقلّة والكثرة**).

هذا هو الشّرع والعقل والعلم والواقعيّة لا هراء (**لامبروزو**) الّذي يزعم وجود مجرمٍ بالصّدفة يرتكب جريمةً تحت الضّغوط، فيكون جرمه حتميّة وهذا فيه تبريرٌ للمجرم وإعطائه للعذر.

هل الله أعلم أم البشر أعلم؟، هل غاب عن الله كلّ هذا؟، المجرم لا عذر له ويُحمّله الشّرع عاقبة فعله.

الله عزّ وجلّ يقول بقتل قاطع الطّريق والخاطف، ويأتي البشر الجاهل الّذي لم يؤت من العلم إلا قليلاً يتجرأ على الله عز وجل، ويقول عقوبة الإعدام لا تليق بهذا الزّمان.

" **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿ 14 ﴾** " سورة الملك.

" **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿ 27 ﴾** " سورة لقمان.

ماذا يساوي علم البشر وتجربته بعلم الله تعالى المطلق؟.

إنّ جريمة اختطاف الأطفال والإعتداء عليهم وقتلهم لا تُدْرَج في جرائم القصاص عند الفقهاء، بل تدرج في جرائم الحرابة، والفرق بين القصاص وحدّ الحرابة: أنّ القصاص قد يعفو أصحاب الدّم ويأخذون الدّيّة، أمّا جرائم الحرابة فهي حدود، والحدّ ليس فيه عفوًا، لأنّه حقّ الله تعالى وفيه حقًّا عامًّا.

يقول العلاّمة التّسولي المالكي:

(**الحِرابة، وهي: أن يقتله، لأخذ ماله أو زوجته أو ابنته، وكذا لو خدع كبيرًا أو صغيرًا فيدخله موضعًا خاليًا، ليقتله ويأخذ ماله، أو يُخادع الصّبي أو غيره ليأخذ ما معه**)، البهجة شرح التّحفة: 342/2.

قال تعالى في حدّ الحرابة (كالذين يقطعون الطّريق لسلب الأموال، أو يخطفون البنات أو الصّبيان للإعتداء عليهم):

" إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿33﴾ " سورة المائدة.

- إذا سرق قُطِعَ من خلافٍ كما في السّرقة.

- إذا قتل يُقْتَلُ باتّفاقٍ، وقالوا يُصْلَبُ أيضًا على قولٍ.

- إذا خوّف النّاس وأرعبهم من غير سرقةٍ ولا قتلٍ يُحْبَسُ حتّى يتوب.

لقد اعتبر العلماء هذه الجريمة من كبائر الذّنوب.

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية:

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله،

في الحديث الّذي رواه أبو داود وصحّحه الألباني، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

(لا يحلّ لمسلمٍ أن يُروِّعَ مسلمًا)

وفيما رواه مسلم، أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال:

(من أشار إلى أخيه بحديدةٍ فإنّ الملائكة تلعنه حتّى ينتهي).

ومن أراد أن يتعرّض للنّاس بالإعتداء، فإنه يرهن آخرته ويورد نفسه مهالك الدّنيا والآخرة.

فقد ثبت في صحيح الجامع عن أبي الدّرداء وعبادة بن الصّامت، قال صلّى الله عليه وسلّم:

(لا يزال المؤمن مُعْنِقًا صالحًا ما لم يصب دمًا حرامًا فإذا أصاب دمًا حرامًا بَلَّحَ).

وفي صحيح البخاري:

(لا يزال المؤمن في فسحةٍ من دينه ما لم يصب دمًا حرامًا).

فالمسلم يكون في توفيق من الله تعالى على التّسارع إلى الخيرات ما لم يصب دمًا محرّمًا ويقتل، فإن اعتدى وقتل إنقطع عمله إلى الخير و لم يوفّق له، فتكون عاقبته في الدّنيا سيئةً وفي آخرته أسوأ.

معاشر الإخوة الكرام،

ينبغي الإعتماد على تقوية إيمان المجتمع بكل الوسائل المتاحة في المدرسة والمسجد ووسائل الإعلام والجمعيّات المدنيّة، ولكن بعد وقوع الجريمة لا بدّ من ردع المجرم بحدّ الحرابة وهي القتل والصّلب، لأنّ الله تعالى يزع بالسّلطان ما لا يزع بالقرآن.

وعلى الأولياء أن يُنَبِّهُوا أولادهم لاختيار أهل الصّلاح، وأن يصاحبوا من هو في عمرهم ويتجنّبوا الأكبر منهم، وأن لا يلعبوا فُرَادَى في الأحياء، فإنّ في ذلك خطورةٌ عليهم.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين،
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين،
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك،
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك،
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة،
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا،
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين،
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.